# المناسبة في التشبيه المرسل المجمل في القرآن الكريم

**م.م. علي خالد ابراهيم اليوسف**
**Alikhalide1988@gmail.com**
**المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى**

**الملخص**

الحمد لله الذي تقدست عن الأشباهِ ذاتُهُ، ودلت على وجودهِ آياتُهُ ومخلوقاتُهُ، والصلاة والسلام على من اصطفاه الله من عباده، معلم الأمة، وكاشف به الله الغمة عن هذه الأمَّة سيدنا وحبيبنا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آل بيته وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

**أما بعد:**

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هو شريعةُ الأمةِ الإسلاميةِ ودستورُها، وهو الذي أُنزلَ على آخر نبيٍّ، وعلى هذا فإنَّهُ خاتم الكتب السماوية وناسخها، به ختمت الشرائع وانقطع الوحي من السماء، فكان هذا الكتاب معجزاً على مرِّ العصور، محققاً لطموح المجتمع وتقدمه وتطوره ونموه فجعله الله هدى لجميع البشر، تكفل الله بحفظه وأبعد عنه سوء الإنسان وعمله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢]، فحفظ الله به الدين الإسلامي الحنيف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأنزله الله _سبحانه تعالى _ تحدياً للعرب أصحاب الفصاحة، بأنْ يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك، فأودع فيه من الفصاحة والبلاغة ما عجزت عنه البشرية، وتميز بنقاء ألفاظهِ ورقةِ معانيه وجمال أسلوبه وصياغته ونظمه، مما يجعل المتلقي متشوقاً لسماعه، والتدبر في كشف معانيهِ ومقاصدهِ، فجاءت آياتهُ مترابطةً ومتماسكةً، متناسقةَ المغزى والأسلوب، يناسب بعضُها البعض الآخر.

إذْ إن هناك مناسبةً بين سورهِ، وبين آياتهِ، وبين ألفاظه ومعانيه وبين بداية الآية وفاصلتها، كل هذه المناسبات قد تكون ظاهرة وخفية، أمَّا الظاهر منها مما اكتشفه الخلق، وأمّا الذي خفي فهو ما أستأثره الله بعلمه وخفي على خلقه من الدارسين والعلماء الراسخين في العلم .

وأفدت كثيراً من الدراسات التي تناولت علم المناسبة التي كانت بعنوان (علم المناسبة في نظم القرآن البياني في تفسير أبي السعود) خالد مظهر أحمد العيساوي، و( التناسب عند الامام البقاعي ) مشهور موسى مشاهرة، وغيرها من الدراسات التي تناولت علم المناسبة، فاعتمدت في بحثي المتواضع هذا على دراسات العلماء السابقة من أمثال الزمخشري(٥٣٨هـ) في تفسيره

(الكشاف)، والرازي(٦٠٦هـ) ( التفسير الكبير) والسيوطي في كتابه(تناسق الدرر في تناسب السور)، وكتاب (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي الغرناطي(ت٧٠٨هـ) من شيوخ أبي حيان، وموضوعه بيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتفسير أبي حيان الأندلسي ( البحر المحيط)، وتفسير التحرير والتنوير لإبن عاشور وتفسير( نظم الدرر ) للإمام البقاعي .... وغيرها من الدراسات الأخرى.

أَخَذَتْ دراستي مسارها في الكشف عن أثر المناسبة في التشبيه المرسل المجمل، وبيان جمالية النصوص القرآنية , والوقوف على أبرز آراء العلماء والدارسين، وبيان لطائف كتاب الله العزيز.

**الكلمات المفتاحية: المناسبة، التشبيه المرسل، المجمل.**

## The occasion in the simile of the overall messenger in the noble Quran- arhetoical study

**Ali Khalid ibrahim**

**Nineveh Education Diretorate**

**Abstract**

My study tried to detect the occasion's aftermath in Quran similes, and explaining Quran text's beauty, and finding most important opinions by the scientists and studiers, and finding the importance of Holy God's book. I have used the important similes and extracted its occasions. The nature of my dissertation required to be divided into introduction and preparation and two chapters and conclusion. In preparation I have used defining the science of occasion in the language and in the term and explaining its building and developing, and finding out of its importance and the importance of its using, and I hope introduced something about occasion's science.

The first chapter's subject was about simile and simile's representational and the chapter were consist two subjects, the first subject was the simile in the language and in the term, and then I have explained its importance, and explained its technical values in Holy Quran's similes, and how the scientists divided the similes for its

different considers, the second subject consist entrance about simile's representational and stating of occasion's effect in similes which was on its formula.

The second's chapter's subject was similes of individual for other considers and consist two subjects, the first subject was entrance about similes (sender's total) and I have explained the effect of occasion in similes which was on its formula, the second subject was entrance about similes (total confirming, eloquent) and stating the occasion's effect in Quran's similes.

I have finished my dissertation by briefly conclusion and I have mentioned most important results which I have found it through my dissertation, by depending on what I have found from resource of Quran's explanations in addition to the ephebic books, like; the secrets of ephebic by Abdulqahhar Al-Jarjani, and seeing the faith in Holy Quran and the technical photographing in Holy Quran for Mr. Qutub, and the ephebic's techniques and its best technical, and the Arabic ephebic by Ahmed Al-Hashimi and from aother dictionaries.. and from resources which used in this dissertation which were written by details in fixing of recourses and references.

**التمهيد)**

_**المطلب الأوَّل: <u>المناسبة لغةً:</u>** دلّت المادة اللغوية للمناسبة على التشاكل والتقارب والتشابه للمفردات، إذ وردت هذه اللفظة في سياقاتها اللغوية في مواضع مختلفة، قال **ابن فارس(ت٣٩٥هـ):** ( النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال الشيء بالشيء, ومنه فلان نسيب فلان)[١] .

وبينهما مناسبة ( ويقال في المجاز بين الشيئين مناسبة وتناسب )[٢]. وقال **ابن منظور(ت٧١١هـ):** ( النون والسين والباء بينهما مناسبة أي: مشاكلة)[٣] والنسبة تعني (إيقاع

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٤١/٥.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري:٤٥٤

(٣) لسان العرب، ابن منظور:٧٥٥/١

التعلق بين الشيئين )[١], فالمناسبة تعني ( المشاكلة والمقاربة )[٢], (وفلان نسيب فلان أي: قريبه، فبينهما قرابةٌ او مناسبةٌ، أي مشاركةٌ)[٣], (وتناسبَ الشيئان أي: تشاكلا )[٤], ومن مادة نسب استعيرت النسبة وهي مقادير الشيء )[٥]. وفيما مضى فإنَّ معنى المناسبة متشابه في كتب اللغويين ويعني المقاربة وتلازم الشيء بالشيء، وبعد ذلك ننتقل إلى المعنى الاصطلاحي للتناسب فقد اقترب المعنى اللغوي من المعنى الاصطلاحي، فبين التعريفات تناسب واضح؛ إذ لا تتم المشاكلة والمشابهة إلَّا بوجود أمر يربط بين الشيئين أو يقارب بينهما[٦].

**المناسبة إصطلاحاً:-**

عُرِّفَتِ المُناسَبَةُ في إصطلاحِ العُلماءِ عِدَّة تعريفاتٍ فقد تدَّرَجَ تعريفُ المناسبةِ من التعريفِ اللغويّ إلى التعريفِ الاصطلاحيّ، ومن علماءِ اللغةِ إلى علماءِ البلاغةِ والتفسيرِ.

فمن الذين تَطرّقوا إلى المناسبةِ , **ابنُ العربي (ت ٥٤٣هـ)** قائلاً بأنهَّا: ( ارتباطُ آي القرآنِ بعضُها ببعضٍ حتى تكونَ كالكلمةِ الواحدةِ متسقة المعاني منتظمة المباني)[٧].

وقد عَرّفَها الإمام **بدرُ الدين الزركشي (٧٩٤هـ)** قائلاً : (المناسبة أمرٌ معقول إذا عُرض على العقول تلقته بالقبول)[٨]، مِمّا يَدلُّ على أنَّ هنالك شرطاً لقبولها, وهو أن تكون مقبولةً لدى العقول وبالتالي فهي غير متكلفة ولا مصطنعة.

وعَرَّفَها **البِقاعي(٨٨٥هـ)** قائلاً : ( هو علمٌ تعرفُ منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرُّ البلاغة؛ لأدائه الى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال)[٩] .

كيف لا وقد قال الله عنه ووصفه في كتابه﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨]، فكأنَّه عبارة عن حلقات آخذ بعضها بأعناق بعض، متكامل الأجزاء ذو وحدة بديعية متآلفة، (يعرف هذا الاحكام والترابط في القرآن الكريم، كل من ألقى باله إلى التناسب الشائع فيه من غير تفكك ولا تخاذل، ولا انحلال ولا تنافر بينما الموضوعات مختلفة ومتنوعة)[١٠].

(١) معجم التعريفات، الجرجاني : ٢٠١

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ١٢٧

(٣) مختار الصحاح , ابو بكر الرازي:٢٧٣

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية :٩١٦

(٥) المصباح المنير، أحمد الفيومي :٣٥٧

(٦) ينظر التناسب القرآني عند الامام البقاعي ( رسالة ماجستير )، مشهور موسى مشاهرة:٣٧

(٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي : ٦٢/١

(٨) المصدر نفسه: ٣٥/١

(٩) نظم الدرر، البقاعي: ٥/١

(١٠) مناهل العرفان:٢٤٩/٢ .

والمناسبة تكون على ضربين أو شكلين كما قسمها ابن **أبي الاصبع المصري(ت٦٥٤هـ)** [١]:

[١]:

**الأوَّل: المناسبة المعنوية:** وهي أنْ يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه من معنى دون لفظ ففي قوله تعالى﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: ١٠٣]، هناك مناسبة بين عدم إدراك الأبصار لله وفاصلة اللطيف ومناسبة بين إدراك الله للأبصار وفاصلة الخبير, فإنَّ معنى نفي ادراك الابصار للشيء يناسب اللطف , وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ؛ لأنَّ المعهود عند المخاطب أنَّ البصرَ لا يُدْرِك الأجسام اللطيفة , كالهواءِ وسائرِ العناصرِ , ولا الجواهر المفردة،وإنَّما يُدْرِكُ اللونَ من كلِ متلونٍ، والكون من كل متكون، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد, وكذلك قوله تعالى **(وهو يدرك الابصار)**، فإنَّ ذلك يناسبه وصف المدرك للخبرة , وأنّه سبحانه لما أثبتَ إدراك الأبصارِ, أي ألباب الابصار التي نفى عنها إدراكه تكميلا للتمدح بحسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح واحتراساً ممن يظن أنَّهُ إذا لم يكنْ مدركاً لمْ يكنْ موجوداً, فتضمنت على ذلك الفاصلة معنىً زائداً على معنى الكلام.

**الثاني: وهي المناسبة اللفظية:** (فهي عبارة عن الإتيان بلفظات مُتَّزِنات مُقَفَّاة وغير مُقَفَّاة , فالمُقَفَّاة مع الاتزانِ مناسبةٌ تامّةٌ , والمُتَّزِنَةُ من غيرِ التقفيةِ مناسبةٌ غير تامَّة, وقد وردت في قوله تعالى ﴿ قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[ق ١-٢]، ناسب بين**(المجيد) و(عجيب)** للتقارب بين اللفظين في حرفي الدال والباء , وهذا التقاربُ بين الحرفين يفسحُ المجالَ للتنويعِ اللفظيّ و المعنويّ.

والتامَّةُ وَرَدَتْ في قولهِ تَعَالَى ﴿ نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ ﴾[ القلم: ١ – ٣]، فناسبَ بين**(يسطرون) و( بمجنون) و(ممنون)** في مقطع الواو والنون. وهذا التقارُبُ التامُّ هدفهُ التأثيُر في المُتَلَقّي.

ومنه قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝٢٦ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝٢٧ ﴾ [السجدة: ٢٦ – ٢٧]، قال **ابنُ أبي الأُصبع المصري:** أنظر إلى صدرِ الآيةِ التي الموعظة فيها سمعية لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة وإنَّما سَمِعوُا بها **(أولم يهدِ لهم)**كما قال بالتي بعدها**(أولمْ يروا)**، وقال الله تعالى بعد الموعظة السمعية**(أفلا**

(١) ينظر بديع القرآن، ابن أبي الاصبع المصري : ١٤٥-١٤٩ .

**يسمعون)**وبعد الموعظة المرئية **(أفلا يبصرون)**؛ لأنَّ الزرعَ مرئيٌّ لا مسموعٌ ليناسِبَ آخرُ كُلِّ كلامٍ أوَّله [١].

ومن أمثلة المناسبةِ التامَّةِ أيضاً ما جاء في السنة من قول الرسول **محمد** _ صلى الله عليه وسلم _ مما كان يرقي به الحسنين عليهما السلام **( أُعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة)** [٢]، فقال **(لامّة)** ولمْ يقل **ملمَّة** وهي القياس، ومثله قوله:**(ارجعن مأزورات غير مأجوراتٍ)**[٣] فجعل **(مأزورات )** مهموزاً وحقه أن يكون بالواو لكنه هُمز لمزاوجة **(مأجورات)**.

ويمكنُ تَعْرِيف عِلمُ الْمُنَاسبَة بِأَنَّهُ: (علمٌ يبْحَث فِي الْمعَانِي الرابطة بَين الْآيَات بَعْضهَا بِبَعْض، وَبَين السُّور بَعْضهَا بِبَعْض، حَتَّى تُعرف علل تَرْتِيب أَجزَاء الْقُرْآن الْكَرِيم)[٤]، ثم عرفها بعض المحدثين ومنهم **(مصطفى مسلم)** بقوله (هي الرابطة بين شيئين بأي وجهٍ من الوجوهِ وفي كتابِ اللهِ تعني ارتباط السورِ بما قبلها وما بعدها وفي الآياتِ تعني وجهُ الارتباط في كلِ آيةٍ بما قبلها وما بعدها )[٥].

وَفِي الْعَصْر الحَدِيث أيضاً ظَهرت دراسات مستفيضة تركز على هَذَا اللَّوْن من التناسب والترابط بَين آيَات الذّكرِ الْحَكِيم، انطلاقاً من وجهةِ نظرٍ بَيَانِيَّةٍ وفنيةٍ فِي الْمقَامِ الأولِ.

وَلَعَلَّ من أهم هَذِه الدراسات مَا قَامَ بِهِ الْأُسْتَاذ **أَمِين الخولي (ت ١٩٦٦م)** وتلامذته من أَبنَاء (مدرسة الْأُمَنَاء)، الَّذين كَانُوا أوفياء لمنهجه فِي دراسة عُلُوم البلاغة وَالْأَدب والنقد فِي قِرَاءَة الْقُرْآن الْمجِيد.. وأبرز أَبنَاء هَذِه (الْمدرسَة) الدكتورة **عَائِشَة عبد الرَّحْمَن (بنت الشاطئ) (ت ١٩٩٨م)**، وَالَّتِي كَانَت وفية لشيخها وَزوجهَا الْأُسْتَاذ **أَمِين الخولي**، وحريصة على حمل لِوَاء منهجه، تأصيلاً وتطبيقاً فِي آنٍ واحد )[٦].

فَعلِمُ المناسبةِ يُرَسِّخُ الإعتقادَ بإعجازِ القرآنِ الكريمِ لِمَا يُبْديهِ هذا العلم ويكشفُهُ من لطائِفَ تُدْهِشُ الناظِرَ في كتابِ اللهِ _ عز وجل _ وما يحويهِ مِنْ أسرارٍ لا يعرفُها إلّا العالم الذي يغوصُ في هذا البحر الذي لا ساحلَ لهُ، وهو من أصلِ علومِ القرآنِ، وأدلَّها على إعجازِ بيانهِ وارتباطِ آياتهِ وسورهِ.

(١) ينظر تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن ابي الإصبع المصري : ٣٦٤ .

(٢) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري:١٢٣٣/٣.

(٣) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني:٥٠٢/١، وينظر صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري:٤٦/١.

(٤) مصابيح الدرر في تفسير القرآن الكريم، عادل بن محمد أبو العلاء :١٦/١ .

(٥) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم : ٥٨.

(٦) مصابيح الدرر في تفسير القرآن الكريم، عادل بن محمد أبو العلاء :٤٨/١.

وَقَدْ عرَّفنا علمُ المناسبةِ معتمدينَ على التأملِ بعيداً عن التكلفِ, وقلنا :إنَّهُ علمٌ يبحثُ عن سببِ ارتباطِ آيِ القرآنِ بعضِها ببعضٍ والربطُ بينَ مطالعِ السورِ وفواصلها، وَقَدْ رَبَط عبد الحميد الفراهي بينَ المناسبةِ والمعنى، فالكلام لا يُفْهَمُ حَقيقَةُ الفهمِ إلّا بعدَ مَعْرِفَةِ تناسبهِ لذلك فإنَّ للمناسبةِ اثراً في توجيه المعنى بين الآيات مع بعضها وبين السور مع بعضها, ويصل إلى حقيقةٍ ساطعةٍ في دراستهِ لأهميةِ المناسبةِ إذ قال : (إن كنت ممن يوقن بان الله راعى النظام الحكيم في كلامه ورأيتَ أمراً قدْ قُرِنَ بأمرٍ فلا بُدَّ لكَ أنْ تَطْلُبَ المناسبةِ فهذا الطلبُ يهديكَ إلى أمورٍ خفيةٍ لا يهتدي إليها من مرَّ عليهِ ولمْ يَتَدَبرْ فإنَّ الأمرَ الواحدَ لهُ جهاتٌ مختلفةٌ واعتباراتٌ شتَّى فَمِنْ جهةٍ هو يناسب بأمر , ومن جهة أُخرى بأمر آخر)[1].

فعلمُ المناسبةِ من العلومِ الدقيقةِ التي يحتاجُ الباحثُ فيهِ إلى أنْ يكون ملماً بعلومِ التفسيرِ واللُّغةِ والقراءاتِ وَمِنْ ثم توظيف هذه المعرفة في استخراج النفائس والدقائق البلاغية ومعرفة وجوه الإعجازِ البياني في القرآنِ الكريمِ، لذلك اهتمَّ بعضُ الدارسينَ مِن البلاغيينَ والمفسرينَ اهتماماً كبيراً بهذا العلمِ باعتبارهِ علمٌ يتعلقُ بدقةِ تلاحمِ أجزاءِ القرآنِ الكريمِ والتصاقِ كلماتهِ وعباراتهِ بعضها البعض , فألفوا فيه واحتفلوا به. وكانَ موضوعُ دراستنا في هذا العلمِ أثر المناسبة في التشبيهات القرآنية لأهميتهُ في تقريبِ وتصويرِ الحالةِ أو الحادثةِ.

**_ المطلب الثاني: نشأة علم المناسبة وتطورهُ**

ظهرت بوادرُ العنايةِ بالمناسبةِ أوَّل ما ظهرتْ بشكلِ تنبيهاتٍ بلاغيةٍ تنبَّهَ لها الإعرابي من خلال ربطه بين سياق الآية وما يتناوله مقطعها وعلاقته بخاتمتها من حيث الدلالة في بيان الحكم بقطع يد السارق .

فعلمُ المناسبةِ من العلومِ الجليلةِ التي دلتْ على اعتبارها العلمي،إذ وصف الله تعالى كتابهُ بالحكمةِ والاحكام كما دلَّ على ذلك , وأن القرآن مُعجزٌ بأسلوبه وبيانهِ، لذا اهتمَ بهِ المفسرونَ ودارسوا البلاغةِ . وبعضهم من عارضَ دراسة هذا العلمِ ,حتى تبيَن ضعفهم وعجزهم أمامهُ حتى أنَّ بعضهم ناقضَ نفسهُ بنفسهِ , إذ وَجَدَ نَفْسَهُ يبْحَثُ في التناسبِ بالرغم من إعتراضهِ على منْ سبقهُ في البحثِ عن هذا العلمِ الجديدِ , ذي السمةِ الفريدةِ، هذا التناقضُ إن دَلَّ على شيءٍ فإنَّهُ يدلُّ على أنَّ النظمَ القرآنيَّ وإعجازهُ هما من يفرضانِ عليه دراسة وبحث هذه السمةِ الجليلةِ منْ هذا العلم ,في بيان إعجازِ القرآنِ الكريمِ والوقوف على أهمِ مايدعو إليهِ.

وأوَّلُ مَنْ أظْهَرَ علمَ المناسبةِ ونبَّهَ على جلالةِ قدرهِ, وعابَ على العلماءِ تقصيرهم في الكشفِ عن أسرارهِ هو **أبو بكر النيسابوري(ت ٣٤٢ هـ)**،قال الشيخ **أبو الحسن الشهرباني (ت٣٦١هـ):** ( أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نسمعهُ من غيرهِ , هو **الإمام أبو بكر النيسابوري** وكان يقول على الكرسي إذا قُرِىء عليه الآية ؛لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة من

(1) دلائل النظام، عبدالحميد الفراهي : ٧٤ .

جَعْلِ هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء عصره ببغداد لعدم علمهم بالمناسبة)[١].

ولدقةِ هذا العلمِ فقد قلَّ اعتناءُ المفسرينَ بهِ إذ انقسم العلماءُ ازاء هذا العلمِ على ثلاثةِ أقسام، فمنهم من اهتمَّ بهِ، وأكثرَ مِنْهُ، وَمِنْهُم مَنْ لمْ يَتَطَرَق إليهِ ونفى وجودهُ في القرآنِ الكريمِ، ومنهم مَنْ وَقَفَ موقفاً وسطاً فَقَبِلَهُ ولكنْ بشروط.

وذكره **الإمامُ البِقاعي (ت٨٨٥هـ)** إذ أفرد بالتصنيف تفسيراً كاملاً للقرآنِ الكريمِ معتمداً على وجوهِ التناسبِ والروابط (فهو يرد الإعجاز الجمالي في القرآنِ الكريمِ إلى تناسبهِ البلاغي في ترتيبِ عناصرهِ ونظمهِ)[٢]. ومنهم مَنْ أَشَارَ إليهِ في المواضعِ التي تستدعي الإشارةِ على ذلكَ في تفسيرهِ **كالزمخشري وأبي حيان الأندلسي** وغيره. .....

وأوَّلُ تفسيرٍ وصلنا وفيهِ لطائفٌ من المناسباتِ هو (جامعُ البيانِ عن تأويلِ آي القرآنِ) للإمامِ **محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)**،وجاء بعده الإمام **ابو بكر النيسابوري(ت:٣٤٢هـ)** الذي عني به على رؤوس الأشهادِ في درسِ الجامعِ واحتفى به في دراستهِ وعابَ على علماءِ عصرهِ لعدمِ اهتمامهم بهذا العلمِ الجليلِ كما مرَّ بنا سابقاً.

وقام **الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)** بإبراز الثروة البلاغية في كتابه الكشَّاف إذ تكلَّمَ على المناسبةِ أكثرَ مِنْ سابقيهِ ولكنهُ مع ذلكَ فقدْ اعتمد الاختصار،حتى جاء الإمام **فخر الدين الرازي(ت٦٠٤هـ)** فاعتنى بهذا العلم وأكثر منه ولعل ذلك في تفسيره لسورة البقرة،إذ قال ( ومن يتأوّلُ لطائفَ نَظْمِ هذهِ السورةِ وفي بدائعِ ترتيبها،عَلِمَ أنَّ القرآنَ الكريمَ،كما إنَّهُ معجزٌ بحسبِ فصاحةِ ألفاظهِ وشرفِ معانيهِ فهوَ أيضاً معجزٌ بحسبِ ترتيبهِ ونَظْمِ آياتهِ، ولَعَلَّ الذين قالوا :أنَّهُ معجزٌ بحسبِ أُسلوبهِ أرادوا ذلك)[٣].

وكما أنَّ لهذا العلم مؤيدين فلا بد من وجود معارضين له في الجانب الآخر ,إذ نفوا التناسبَ والترابطَ في القرآنِ الكريمِ بالكلِّيةِ . وقد أنحى بعضهم بالعلماءِ وبالأئمةِ بالتقريعِ على المفسرين القائلين بوجودِ التناسبِ ومن هؤلاء **الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)** إذ قال: (واعلم أنَّ كثيراً من المفسرين جاءوا بعلمٍ مُتَكلِّفٍ وخاضوا في بحرٍ لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة،بل أوقعوا أنفسهم في التكلُّمِ بمحضِ الرأيِ المنهيِّ عنهُ في الامور المتعلقة بكتاب الله _ سبحانه وتعالى _ وذلك أنَّهم أرادوا حين ذكروا المناسبةِ بينَ الآياتِ القرآنيةِ المسرودةِ على هذا

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣٦/١، وينظر تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، السيوطي: ١٨، وجواهر البيان في تناسب سور القرآن، محمد الصديق الغماري:١٥

(٢) التناسب القرآني عند الامام البقاعي:٣٩

(٣) تفسير الرازي: ١٣٨/١

الترتيب في المصحف فجاؤوا بتكلّفاتٍ وتَعسُّفاتٍ يتبرَّأُ منها الإنصافُ ويتنزَّهُ عنها البُلّغاءُ فضلاً عن كلامِ الربِّ سبحانه)[١].

**وتحفّظَ البعضُ الآخرُ على القولِ بقبولِ التناسبِ في القُرانِ الكريمِ**، مُتَذرِّعاً بأنَّهُ نَزَلَ مُتَفرِّقاً في أكثرِ منْ ثلاثٍ وعشرينَ عاماً, وكان نزولهُ لأسبابٍ مختلفةٍ وحوادثَ متفرقةٍ، ومن هنا فلا يجدُ ما يدعو القول بالترابط والتناسب بين آياته وسوره.

ولا يمكن الأخذُ بهذا الرأيِ،لأنَّ القرآنَ الكريمَ وإنْ نزلَ متفرقاً ولأسبابٍ مختلفةٍ،(لكنه على حَسَبِ الوقائعِ تنزيلاً وعلى حسبِ الحكمةِ ترتيباً، فالمصحفُ كالصحفِ الكريمةِ على وفقِ ما في الكتابِ المكنونِ مرتبةٌ سورهُ وآياتهُ بالتوقيفِ)[٢].

ثم أنَّ آياتِ القرآنِ الكريمِ وسورهِ (وإن كانت بعد تنزيلها مفرقةً عن جمعٍ، فإنَّها كمثلِ بنيانِ كان قائماً على قواعدهِ فلمَّا أُريدَ نقلهُ بصورتهِ إلى غير مكانٍ قُدِّرتْ أبعادهُ وَرُقِّمتْ لبناتُهُ ثمَّ فُرِّقَ انقاضاً فلم تلبثْ كلُّ لبنةٍ منهُ أنْ عَرَفَتْ مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشدُّ بعضه بعضاً )[٣].

وعلى هذا فإنَّ ترتيب السورِ كما هو في المصحف واجبُ الإتباعِ وإن كان بعضه أو معظمهُ يعود إلى ترتيب **الصحابة** ولا يجوز ترتيب المصحف على خلاف الترتيب الذي ارتضاه الصحابة_ رضوان الله عليهم _ وانعقد الإجماعُ عليهِ في الأجيالِ المتتاليةِ التي جاءت من بعدهم حتى عصرنا هذا، وما رآهُ **المسلمون** حسناً فهو عند الله حسنٌ، لأن كثيراً من السور كان قد عُلِمَ ترتيبها في حياتهِ _ **صلى الله عليه وسلم** _ كالسبعِ الطوالِ، والحواميم،والمُفَصَّل، وأنَّ ما سوى ذلك يمكنُ أن يكون فُوِّضَ الأمرُ فيهِ الى الأمةِ من بعدهِ [٤].

وهذا الكلام لا يُقَلِّلُ من أهميةِ هذا العلمِ، إذ إنَّ علمَ المناسبة القائمُ عليهِ علمُ التفسيرِ والمعتمدُ عليهِ لا يُعَدُّ من التفسيرِ بالرأي المنهيِّ عنهُ إذ يقومُ على أُسسِ وضوابطِ التفسيرِ،فهو يُعْتَمَدُ أساساً على أسرارِ لغةِ العربِ ولهجاتهم وفصاحتهم وبلاغتهم، ويُستعانُ بأسبابِ النزولِ أحياناً في الكشفِ عن أوجهِ المناسبةِ بينَ الآياتِ كما يَجِبُ الأخذُ بهِ لضرورتهِ في تدبُّرِ كتابِ اللهِ _ عز وجل _ .

أمَّا **الفريقُ الثالثُ** فيقفُ موقفَ الوسطِ بين هؤلاءِ فَيُقِرُّ بوجودِ التناسبِ في الآياتِ فقط دونَ السورةِ وموقِفُهم هذا مبنيٌّ على ترتيبِ السورِ عندهم ليس أمراً توقيفياً، بل كان اجتهاداً من

(١) فتح القدير، الشوكاني: ٧٢/١

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٥٠/١

(٣) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز : ١٤٥

(٤) ينظر لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد لطفي الصباغ:٧٧

الصحابةِ بعد وفاةِ النبيِّ **محمد** _صلى الله عليه وسلم_ لذا لايرونَ الترابطَ والتناسبَ بينَ السورِ ويحصرونها فيما بين الايات فقط كالعلَّامة **الطبطبائي وابن عاشور**(١).

وعلى الرغم من تفاوتِ الآراء في وجودِ التناسب فإنَّ هذا امرٌ طبيعيٌّ إذ لا يخلو علمٌ من مؤيدينَ لهُ ومحبيّن،ومعارضين، فهذا الاختلافُ بينَ العلماءِ الذي مرَّ ذكرهم آنفا لا يقلّل من قيمةِ هذا العلمِ الذي لا يُنكِرُ وجودهُ عالمٌ،إذ إنَّهُ موجودٌ بينَ آياتِ القرآنِ الكريمِ وسورهِ وألفاظهِ وتشبيهاتهِ ومعانيهِ، فهو يساعدُ المفسِّر على ترجيحِ رأيٍ على آخر إذا كان أحدهما أليقُ من الآخرِ بارتباطِ أجزاءِ الآيةِ الواحدةِ، من خلالِ تفسيرِ ما قبلها وما بعدها. كما أشارَ إلى ذلك ابن عاشور، في تفسير قوله تعالى﴿ **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** ﴾ [البقرة١٤٣]، (والذي استقرَّ عليهِ فهمي أنَّ مناسبة وقوعِ هذه الآية هنا مناسبةٌ بديعةٌ وهي أنَّ الآياتِ التي قبلها تكرَّرَ فيها التنويهُ **بإبراهيمَ** وملَّتِهِ والكعبةِ، وأنَّ منْ يرغبُ عنها قد سفِهَ نفسَهُ، فكانت مثاراً لأن يقولَ المشركون، ما ولَّى **محمداً** وأتباعَهُ عن قبلتِهم التي كانوا عليها بِمَكَّةَ أي استقبال الكعبةَ مع أنّهُ يقولُ إنَّهُ على ملّةِ **إبراهيم** ويأبى عن اتباعِ اليهوديةِ والنصرانيةِ، فكيفَ تَرَكَ قِبلةَ **إبراهيمَ** واستقبلَ بيتَ المقدسِ ؟ ولأنَّهُ قد تكررتِ الإشارةُ في الآياتِ السابقةِ إلى هذا الغرضِ بقولهِ :( ولله المشرقُ والمغربُ)، وقوله :( ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبعَ ملتهم )، وقد عَلِمَ **اللهُ** ذلكَ مِنْهم فأنبأَ **رسولَهُ** بقولهم وأتى فيه بهذا الموقع العجيب)(٢).

**قال السيوطي(ت٩١١هـ)** (وكتابي الذي صَنَّفتهُ في أسرارِ التنزيلِ كافلٌ بذلكَ جامعٌ لمناسباتِ السورِ والآياتِ، مع ما تضمَّنهُ من وجوهِ الإعجازِ،وآساليبِ البلاغةِ، وقد لحظتُ منهُ مناسبةُ السورِ خاصَّةً في جزءٍ لطيفٍ،سميتُهُ " تناسق الدرر في تناسبِ الآياتِ والسورِ" وألفَ السيوطي أيضاً في تناسب فواتح السور وخواتمها بعضها مع بعض كتاباً سمَّاهُ (مراصدُ المطالعِ في تناسبِ المقاطعِ والمطالعِ)(٣).

فأمَّا من التفت إلى علمِ المناسبةِ من المعاصرينَ الدكتور **محمد محمود حجازي**،(إذ إنَّهُ التفت إلى لونٍ من التناسبِ هو الوحدةُ الموضوعيةُ للقرآنِ الكريمِ، فصنَّفَ كتاباً بهذا ( العنوان )،وهو كتابٌ حسنٌ لم يؤلّفُ في بابهِ غيرهُ، حقق فيه قولَ العلماءِ القدامى( القرآن الكريمِ كلُّهُ قضيةٌ واحدةٌ ) وجَمَعَ بعضُ مَنْ كَتَبَ في التفسيرِ كتاباً في مناسباتِ السورِ جَمَعَ فيهِ ما اتفقَ له دون تحقيق، ولا تمعُّنِ في أنْ يتعمَّقَ في هذا الفن )(٤).

(١) ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور:٨/١، وتفسير الميزان، الطبطبائي: ١٩/١٠

(٢) التحرير والتنوير:٦٦٧/١

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٤٧٢

(٤) علم المناسبات، نور الدين عتر: ٢٩

وهكذا أضحى علمُ المناسبةِ ذا أهمّيةٍ أكبرَ من ذي قبل لمسيس حاجةِ المثقَّفِ المسلمِ إلى إظهار إعجاز القرآن الكريم وكشفِ أسرارِه،ولأمر آخر طَرَأ على التفسيرِ يبرزُ عجائبَ بيانِ القرآنِ، كما يعنى بتفسيرِ كلِّ سورةٍ تفسيراً يبرزُ موضُوعَها وَهَدَفَها الذي ترمي إليه ويتضحُ اهتمامُ المفسرينَ والبلاغيينَ بهذا الفنِّ من خلالِ ما قالهُ الرازي: أكثرُ لطائف القرآن مودعةٌ في الترتيباتِ والروابطِ[١]. وهكذا احتفَلَ العلماءُ وأبدوا اهتمامهم به وسجلوهُ مفخرةً لمن عُنِيَ بهِ .

وأدلةُ القرآنِ الكريمِ على علمِ المناسبةِ كثيرةٌ لا يُنكِرُها عاقلٌ ومَتَمَعِّنٌ ومتدبرٌ بكتابِ اللهِ _عز وجل _ قال تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود:١]، وقال: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [لقمان: ١ – ٢]، وقال ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[ يس: ١ – ٣]، إذ لا يتَّصِفُ كتابٌ بالحكْمَةِ أو الإحكام إلّا إذا كانَ حسنُ التأليفِ يُكَمِلُ بعضُهُ البعضَ، تامُ التلاؤمِ والتناسقِ، فكُلُّ هذهِ الصفاتِ التي ذَكَرَها اللهُ _عز وجل_ في وصفِ كتابهِ تدلُّ على أنَّ القرآنَ محكمُ النسجِ. ( وذلك يوجب أن يكون متآلفاً ومتناسباً)[٢]، إذ إنَّ القرآنَ الكريمِ مقصودٌ بجميعِ آياتهِ وسورهِ،كتابٌ محكمٌ كاملٌ كما وصفهُ اللهُ _جلَّ وعزَّ_ إذ قال: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ فلا بدَّ أنْ يكونَ ثمةَ مناسباتٍ بينَ سورهِ في ترتيبها في المصحفِ الشريفِ وبينَ فواصلهِ وتشبيهاتهِ واحكامهِ. وكذلك سياقاتهِ التي سيقت بهِ آياتهِ

**التشبيه المرسل المجمل وأثر المناسبة فيه**

**التشبيه المرسل المجمل:** هو أحد أنواع التشبيه الذي ذُكرت فيه الأداة،ووجه الشبه فيه محذوفٌ.

فقيل إنَّ المجمل: ما كان وجه الشبه فيه محذوفاً، أو ما لم يكن وجه الشبه فيه موجوداً[٣].

وقد يكون موصوفاً في الجملة ( ولا يضاد الإجمال أنْ يوصف المشبَّه أو المشبَّهِ به أو هما معاً بوصف يشعر بوجه الشبه، نحو قول النبيّ محمدﷺ { أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم})[٤].

فوجه الشبه في الحديث هو الهداية فهو موصوفٌ، مشعورٌ به ومنصوصٌ عليه . فقد يكون (ظاهراً يفهمه كلُّ أحد حتَّى العامَّةِ، ومنه ما هو خفيٌّ لا يدركه إلَّا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامَّة، كقول من وصف بني المهلَّب للحجَّاجِ لمَّا سأله عنهم: أيُهُّم أنجدُ ؟ فقال: كانوا كالحلقة المفرغةِ لا يدرى أين طرفاها. أي لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً)[٥].

(١) ينظر المصدر نفسه:٤٥

(٢)- المصدر نفسه :٧

(٣) ينظر جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى المصري:١٧٩/١والبلاغة العربية أُسسها وعُلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة : ١٧٣/٢

(٤) البلاغة الإصطلاحية، عبدة قلقيلة : ٤٦، وينظر: تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري:٢/ ٢٠٣.

(٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي:٥٩/١

فالتشبيه المجمل يجعل القارئ أو المتلقّيَ يسرح في أُفقِ الخيال ويغوص في أعماق المعاني ليخرج ما قصده المتكّلم ويؤول، ويتخيَّلُ و يتفكَّرُ،ويستخرجُ العلاقة بين المشبّهين ( المشبه، المشبه به ) وما بينهما من مناسبةٍ.

**١ _ أثر المناسبة في تشبيه قلوب الذين كفروا بالحجارة.**

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ٧٤] .

**المشبَّهُ: قلوب بني إسرائيل.**

**المشبَّه به: الحجارة.**

**أداة التشبيهِ: الكاف.**

**وجه الشبهِ: القسوة وعدم الاهتداء وغير ذلك، وهو محذوف.**

**غرض التشبيه: التقبيح والتحقير.**

لمّا كفر بنو إسرائيل بآيات الله _ﷻ_ وقتلوا بعض الأنبياء، وعلا فرعون في الأرض، بعث الله إليهم نبيَّهُ موسى _عليه السلام_ حاملاً إليهم آيات ربّهِ فكذَّبوه، ثم قتلوا نفساً فأمرهم الله _تعالى_ بذبح بقرة، ثم ضرب القتيل ببعضها، فأحياه الله بها، وبعد ظهور الدلالات لم يؤمنوا {قست قلوبهم } ( يبست وجفَّ، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، فقالوا لم نقتله، فلم يكونوا قطُّ أعمى قلباً ولا أشدُّ تكذيباً لنبيّهم منهم عند ذلك { فهي } أي الغلظة والشدَّةِ { كالحجارة أو أشدُّ قسوة})[١]. فالمعنى (أنَّ من عرف حالها شبَّ ها بالحجارةِ )[٢].

وبهذا فإنَّ أثرَ المناسبةِ قد بات واضحا في هذا التشبيه ( إذ الحجر لا يتأثَّرُ بموعظةٍ، ويعني أنَّ قلوبهم صلبةٌ لا تخلخلها الخوارق كما أنَّ الحجر خلق صلباً، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ اعتياض قلوبهم ليس لعارض، بل خلق ذلك فيها خلقاً أوليَّاً كما أن صلابة الحجر كذلك )[٣].

فجاءت هذه الآيات ( توبيخاً لبني إسرائيل وتقريعا لهم على ما شاهدوه من آيات الله _تعالى_ وإحيائه الموتى فقال: { هي كالحجارة } التي لا تلين أبداً، ولهذا نهى الله المؤمنين على مثل حالهم )[٤]، والسبب من تشبيه القلوب بالحجارة دون غيرها " كالحديد أو الرصاص " هو أنَّ الحديد أو الرصاص إذا أُذيب في النار ذاب بخلاف الحجارة فإنَّها لا تذوب وليس بالإمكان تغيير شكلها.

(١) تفسير البغوي : ١١٠/١

(٢) الكشاف :٢٨٦/١

(٣) البحر المحيط :٤٢٨/١، وينظر تفسير أبي السعود :١٩٤/١

(٤) تفسير ابن كثير:٤٦٠/١

وفي موضع آخر من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

وقوله: { أو أشدُّ قسوةً } فقد وصفها لوجوهٍ، ومنها أنَّ الحجارة لو كانت عاقلةً ولقيتها هذه الآية لقبلتها، وأنَّ الحجارة ليس فيها امتناع ممَّا يحدث فيها بأمر الله _تعالى_ وإنْ كانت هي قاسيةً بل هي منصرفة على مراد الله غير ممتنعة من تسخيره، وهؤلاء مع ما وصفنا من أحوالهم في اتِّصال الآيات عندهم وتتابع النعم من الله يمتنعون من طاعته ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقِّهِ، وأنَّ الحجارة يُنتَفَعُ منها في بعض الأحيان أمَّا قلوب هؤلاء، فلا نفع فيها البتَّة ولا تلين لطاعة الله بوجهٍ من الوجوهِ [١]، وأنَّ من الحجارة ( ما فيه خروقٌ واسعةٌ يتدفقُ منها الماءُ الكثيرُ الغزيرُ، ومنها ما ينشقُّ انشقاقاً

بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضاً { يهبط }: يتردَّى من أعلى الجبل، والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله _تعالى_ وأنَّها لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به )[٢].

والذي يبدو أنَّ العرب إنَّما تُشبِّه القساوة بالأشياء الصلبة فلذلك جيء بهذا المثل، (والجامع بين الصنفين هو عدم قبول التحوُّلِ عن الحالةِ الموجودةِ إلى حالةٍ تخالفها، وقد كانت صلابة الحجر أعرف للناس وأشهر لأنَّها محسوسة فلذلك شُبِّه بها وهذا الأُسلوب يُسمَّى تهيئة التشبيه وهو من محاسنه )[٣].

وبعد قتلهم الأنبياء وجحد نِعم الله _سبحانه وتعالى_ ومع توالي كفرهم وعنادهم، وتحذيراً من مثل ما حلَّ بأهلِ السبتِ { فهي } أي فتسبَّبَ عن قسوتها أنْ كانت كالحجارةِ التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإنَّ القلب أحيى حيٍّ والحجر أجمد جامدٍ، ولمْ يشبِّهها بالحديد لِمَا فيهِ من المنافع ولأنَّه قد يلينُ، فبعد أنْ كانت القلوب بالنظر إلى حياتها ألينُ لينٍ وبالنظرِ إلى ثباتها على حالةِ أصلبَ شيءٍ بحيث تُحَيِّرُ الناظر في أمره شبَّهها بصلابةِ الحجارةِ الصماءِ[٤]، فهم لقسوة قلوبهم وشدَّتها، وصف الله قلوبهم وشبهها بالحجارة وهذا هو أثر المناسبة في الآية الكريمة .

(١) ينظر: تفسير الرازي: ١٣٨/٣

(٢) الكشّاف :٢٨٧/١

(٣) التحرير والتنوير: ٥٦٣/١

(٤) ينظر نظم الدرر :٤٨٠/١

**٢_ أثرُ المناسبةِ في تشبيهِ المنفق في سبيل الله بالحبَّة التي أنبتت سبع سنابل.**

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

المشبَّه: المنفق في سبيل لله _تعالى_

المشبَّه به: إنبات الحبَّة سبع سنابل.

أداة التشبيه: الكاف.

الغرض: تزيين المشبَّه

وجه الشبه: المضاعفة في الأجر وغير ذلك، وهو محذوف.

نوع التشبيه: مرسلٌ مجملٌ، فهو مرسلٌ لذكر الأداة(الكاف)، ومجمل لحذف وجه الشبه، ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ، مثل الذين ينفقون أموالهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم، من رباط الخيل وإعداد السلاح، وينفقون في طاعة الله _ﷻ_[١]، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ ﴾، كمثل حبَّةٍ من حبَّاتِ الحنطة أو الشعير أو غير ذلك من نبات الأرض، أي أنَّ الله _ﷻ_ يضاعف الأجر لهذا المنفق ابتغاء مرضاته إلى سبعمائة ضعف لأنَّهُ أخلص النيَّةَ لله _تعالى_ ومعنى إنباتها سبع سنابل، أنْ تخرج ساقاً يتشعَّبُ منها سبع شعبٍ لكلِّ سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف، كأنَّها ماثلة بين عينيّ القارئ أو المتلقِّي [٢].

فالله _سبحانه وتعالى_ يضاعف الأجر لمن كانت صدقاته خالصةً لوجهه _جل وعلا_ وهو غنيٌّ عن العالمين، ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، والله يضاعف لمن يشاء من عباده، والمضاعفة لمن يشاء بفضله،وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه، والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضَّل به من الزيادة، عليم بنيَّةِ وقدر إنفاقه [٣].

وعندما ذكر الله _تعالى_ المضاعفة فإنَّها زادت التشبيه حلاوةً، وزادته بلاغةً وتأثيراً في النفوس لذا فإنَّ هذا التشبيه (فيه إشارة إلى الأعمال الصالحة التي ينمّيها الله _ﷻ_ لأصحابها، كما يُنَمّي الزرع لمن بذرهُ في الأرض الطيّبة)[٤].ويتَّضحُ أثرُ المناسبةِ في هذه الآية من خلال ما ذكره الله _سبحانه وتعالى_ في آياتٍ سابقةٍ عن الإنفاقِ والحثِّ عليهِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ

(١) ينظر تفسير الطبري:٦١/٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي: ٢٥٥/١، تفسير إبن كثير ١:/٣١٧

(٢) ينظر الكشاف، الزمخشري :٤٩٤/١، وينظر تفسير الطبري:٦١/٣، وتفسير السمر قندي:٢٠٠/١، وتفسير البغوي:٢٤٩/١، وتفسير البيضاوي:٥٦٥/١، وتفسير روح المعاني، الآلوسي:٣٢/٣

(٣) ينظر الطبري:٣١٧/١، وتفسير البيضاوي:٥٦٥/١

(٤) تفسير إبن كثير:٣١٧/١

﴿ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، جاءت البشرى بعد ذلك لمن ينفق في سبيل مرضاة الله ﷻ ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وبين لهم جزاء هذا الإنفاق، (فهذا المثل راجع الى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾، وهو استئنافٌ ابتدائي لأنَّ قوله﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، يثير نفوس السامعين لِمَا يلقاهُ المنفق في سبيل الله يومئذٍ بعد أنْ أعقبه بدلائل ومواعظ وعبر وقد تهيَّأت نفوس السامعين الى التمحُّصِ لهذا المقصود فأصل الكلام فيه إطالةٌ تناسبُ أهمِّيَّتهُ)[١].

فبعد ذكر الحوار الذي دار بين الله _ﷻ_ وخليله إبراهيمعليه السلام ذكر اللهُ لفظة (مثل) فكأنَّهُ قيل ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ فإنَّه مثل ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾، أي: يبذلون أموالهم بطيب نفس (في سبيل الله) أي الذي له الكمال كُلُّهُ، كمثل زارع، ومثل ما ينفقون (كمثل حبَّةٍ) مما زرعه) [٢]، وهذه الحبَّة (أنبتت) (أي بما جعل الله _سبحانه وتعالى_ لها من قدرة الإنبات بطيب أرضها واعتدال ربّها (سبع سنابل) بأن تشعَّبَ منها سبع شُعب، في كلِّ شعبة سنبلة ....فضرب الله المثل للإنفاق في سبيل الله وذكر السبع لما فيه من التمام بالحرث الذي هو كيما عباده يشهدون من تثميره حيث تصير الحبَّة أصلاً ويثمر الأصل سنابل ويكون في كُلِّ سنبلة أعداد من الحبِّ، فكان ما ذكر الله _تعالى_ هو أوَّلُ الإنفاق في سبيل الله، وذكر السبع لما فيه من التمام وما يقبله من التكثير، فإنَّ ما أنبت أكثر من سبع إذا قصد بالتكثير أنبأ عنه بالسبع، لأنَّ العرب تكثر به ما هو أقلَّ منه أو أكثر، فجعل أدنى النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف، ثم فتح الله _تعالى_ باب التضعيف إلى ما لا يصل اليه عدَّ)[٣].

وكان من أثر المناسبة أنَّ الله _ﷻ_ جاء بهذا المثل ( إحضاراً لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبَّةِ التي غُيِّبَتْ في الأرض، فأنبتتْ سبع سنابل، في كُلِّ سنبلةٍ مائةٌ حبَّةٍ، حتَّى كأنَّ القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبَّةِ الواحدة، فينضاف الشاهد العيانيُّ إلى الشاهد الإيمانيّ القرآنيّ، فيقوى إيمان المنفق، وتسخو نفسه بالإنفاق )[٤].

(١) التحرير والتنوير :٣/٤١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ٤/٧٤

(٣) نظم الدرر:٤/٧٥

(٤) ابن القيم وحسُهُ البلاغيُّ في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين:١٧٣

وحتَّى لا يستبعد العبد هذه المضاعفة فقد ذكر الله _ﷻ_ اسمين من أسمائه وبهما ختم الآية، فقال(واسع عليم) فناسب الغرض فجاءت المناسبة واضحة المعالم، إذ لا يستبعد العبد كرم ربِّهِ الذي هو واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل(ومع ذلك فلا يُظنَّ أنَّ سعة عطائه تقتضي حصولها لكُلِّ منفقٍ، فإنَّه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، فإنَّ فضله وكرمه_تعالى_ لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه، لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه)[1]، ولبيان ما يكافئ الله _تعالى_ به عباده المخلصين المنفقين أموالهم في سبيله، وابتغاء مرضاته جاءت صيغة المثل لتوضيح وكشف ما هو مخفيٌّ عن عباده، فناسب المثل ما أراد الله _تعالى_ إيصاله للمنفقين الصادقين بنيَّاتهم، لذا فإنَّ ضرب المثل يوضِّحُ صورة المقصود وحكمهُ.

**٣_أثرُ المناسبةِ في تشبيهِ الذي يأكل الربا ويقوم يوم القيامة كالمصروعِ.**

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

**المشبَّهُ: صفة قيام المرابين يوم القيامة.**

**المشبَّهُ بهِ: المصروع الذي يتخبَّطهُ الشيطانُ من المسِ .**

**أداة التشبيه: ( الكاف ).**

**وجه الشبه: اضطرابهم و عدم استقامة حركاتهم.**

**غرض التشبيه: تحقيرهم وتقبيحهم والتنبيه على الاقلاع عن الربا لما فيه من ضررٍ على المسلمين . وتحتوي الآية على نوع آخر من التشبيهات وهو: التشبيه المقلوب، { بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ } إذ شُبِّهَ البيع بالربا لإيهام أنَ المشبَّه به أتمُّ من المشبَّهِ، في وجه الشبه وهو الإباحة .**

فبسبب أَكلهم الربا في الحياة الدنيا إذْ حرَّمه الله _تعالى_ على عباده لما فيه من ضررٍ عليهم فإنَّهم يقومون يوم القيامة ( كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنَّهم يقومون يوم القيامة مخبَّلينَ كالمصروعينَ، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف، وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون، إلَّا أكلَةُ الربا فإنَّهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، لأنَّهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتَّى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض وذلك بأنَّهم شَبَّهوا الربا بالبيع فاستحلَّوهُ)[2].

(١) المصدر نفسه:١٧٤

(٢) الكشاف :٥٠٦/١

ومن العلل التي ذُكرتْ من أَجلها الآية ( أنَّ ما قبلها وارد في تفضيل الإنفاق والصدقة في سبيل الله، وأنَّه يكون ذلك من طيّبِ ما كسب، ولا يكون من الخبيث فذكر النوع الغالب عليهم في الجاهلية، وهو خبيث، وهو الربا حتَّى يمتنع من الصدقة بما كان من ربا، وهنا تظهر مناسبةٌ أخرى، وذلك أن الصدقات فيها نقصان مال، فاستطرد من المأمور به إلى المنهيّ عنه لما بينهما من مناسبة ذكر التضادِّ وأبدى لأكل الربا صورة تستبشعها العرب على عادتها في ذكر ما استغربته واستوحشت منه كقوله تعالى { طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين } [ الصافات:٦٥] )[١].

وذِكرُ الأكلِ إنَّما هو أعظم منافع المال، ولأنَّ الربا شائعٌ في المطعومات فهم لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلَّا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسّ، وهو الذي يتخبَّطهُ فيصرعه[٢].

فمثلما أنَّ المرابي قد أكلَ أموال الناس بالباطل وتسبَّب في إيذائهم فهو (يستبيح جهد الناس وعرقهم، فيحرمهم لذَّة الاستقرار النفسي، وربَّما ينتج عن ذلك كثير من الآلام والأمراض النفسيَّةِ أو الجسديَّة، فعاقبه الله جزاء عمله، فهو يوم القيامة بعيد كُلُّ البعد عن الاستقرار النفسيّ، وراحة الجسم، وسلامة العقل فجزاه الله بمثل ما جزى الناس في الدنيا، وهل الجزاء إلَّا من جنس العمل )[٣].

**٤_ أثرُ المناسبةِ في تشبيهِ النبيّ عيسى عليه السلام بالنبيّ آدم عليه السلام .**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]

**المشبَّهُ: عيسى عليه السلام .**

**المشبَّهُ به: آدم عليه السلام .**

**أداة التشبيه: الكاف.**

**وجه الشبه: الخلق والتكوين بالأمر من غير واسطة ولا نطفة، وهو محذوف .**

**الغرض من التشبيه: بيان إمكان المشبَّهِ وبيان قدرة الله** _عز وجل_

خلق كُلَّ شيءٍ بقدرِ الله _سبحانه وتعالى_، وخلقَ الإنسانَ من طين ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢] ، وخلق آدم عليه السلام من العدم، إذْ إن (شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم، فقد خُلِقَ آدم من تراب ولم يكن ثمَّةَ أبٌ ولا أمٌّ،وكذلك حال عيسى، فهو مثيله في إحدى الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأنَّ المماثلة مشاركةٌ في بعضِ الأوصافِ ؛ ولأنَّه شُبِّهَ بهِ في أنَّهُ وجد وجوداً خارجا عن العادة المستمرَّةِ وهما في ذلك نظيران )[٤].

(١) البحر المحيط :٣٤٦/٢

(٢) ينظر تفسير البغوي :٣٤١/١

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان والبديع)، فضل حسن عباس:٩١

(٤) الكشاف :٥٦٣/١

ولأنَّ (الوجود من غير أبٍ وأمٍّ أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أبٍ، فشبَّهَ الغريب بالأغرب ؛ ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادَّةِ شُبْهَتِهِ إذا نظر فيما هو أغرب ممَّا استغربهُ )[١].

ولمَّا خفي سرُّ ولادة عيسى من غير أبٍ، لأنَّه خالف المعروف ( ضرب الله المثل بآدم الذي استقرَّ في الأذهان وعَلِمَ أنَّه أوجد من غير أبٍ ولا أمٍّ كذلك خلق عيسى بلا أبٍ، والمعنى الذي وقعت فيه المشاركة بين آدم وعيسى كون كُلِّ واحد منهما خُلِق من غير أبٍ )[٢]، والتشبيه ( واقع على أنَّ عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنَّه خُلق من ترابٍ )[٣].

والعلَّةُ من التشبيهِ فضلاً عمَّا سبق هي ( بيان ما نشأ من الأوهام عند النصارى، عن وصف عيسى بأنَّهُ كلمةٌ من اللهِ، فضلُّوا بتوهُّمهم أنَّه ليس خالص الناس. وهذا شروع إبطال عقيدة النصارى من تأليه عيسى، وردِّ مطاعنهم في الإسلام وهو أقطع طريق بدليل الإلزام ؛ لأنَّهم قالوا بإلاهيَّةِ عيسى من أجل أنَّه خُلِقَ بكلمةٍ من اللهِ وليسَ له أبٌ، فقالوا هو ابن الله، فأراهم الله أنَّ آدم أولى بأن يدعى له ذلك فإذا لم يكن آدم إلها مع أنَّه خُلِقَ بدون أبوين فعيسى أولى بالمخلوقيَّةِ من آدم)[٤].

وبهذا أراد الله _تعالى_ إخبارهم بأنَّ ( مثل عيسى أقلُّ غرابة من خلق آدم كونه خلقه من أُمٍّ دون أبٍ وإنْ كان أغرب من حيث إنهم لم يعهدوا مثله، فلذلك كان مثل آدم مثلا موضِّحاً لأنَهُ مع كونه أغرب وأشهر وعبَّر بالتراب دون الماء والطين والحمأ وغيره كما في غير هذا الموطن، لأنَّ التراب أغلب أجزائه ولأنَّ المقام لإظهار العجب، وإبداع ما أسكنه من الأنوار، بالهداية والعلوم الباهرة من التراب الذي هو أكثف الأشياء أغرب، كما أنَّ تغليب ظلام الضلال على الشياطين من كونهم من عنصر نيِّرٌ أعجب )[٥].

**_ أثرُ المناسبةِ في تشبيهِ المؤمنين بالتي تنقض غزلها.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ٩٢] .

**المشبَّه : المؤمنين.**

**المشبَّه به: المرأة الحمقاء التي تنقض غزلها بعد تعب.**

**أداة التشبيه: ( الكاف ) .**

(١) المصدر نفسه: ٥٦٣/١

(٢) البحر المحيط :٥٠١/٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن:١٥٦/٥

(٤) التحرير والتنوير :٢٦٣/٣

(٥) نظم الدرر : ٤٢٦/٤

**وجه الشبه: الرجوع الى الفساد بعد الإصلاح [١]، وهو محذوف .**

**غرض التشبيه: تحذير المشبَّه من الوقوع في خطأ اليهود والنصارى.**

جاءت آيات الله _تعالى_ لبيانِ ما على المؤمنين من فروضٍ وعهودٍ، فقد أمر اللهُ _تعالى_ بالوفاء بالعهد، ومنها عهود البيع والشراء والزواج وغيرها من العهود التي أمر الله بها، وبعد بيان هذه العهود، عرف المسلم ما عليه فألزمه ربُّنا _جلَّ وعلا_ بها، ونهى عن نقضها { ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً}، أي: رقيباً وكفيلاً بالوفاءِ إذ حلفتم به . وضرب الله مثلاً للَّذي ينقض العهد ليتناسب مع ما أراد الله قوله للمؤمنين فقال: { كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا} فهذه المرأة الحمقاء قد نكثت غزلها بعد حياكته والتعب عليه لساعات طويلةٍ فقال: ( ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي أنحت غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته،{أنكاثا } وهو ما ينكث فتلُهُ )[٢]، فالمرادُ من المثلِ ( الوصفُ دونَ التعيينِ، لأنَّ القصدَ بالأمثالِ صرفُ المكلَّفِ عنهُ إذا كان قبيحاً، والدعاء إليه إذا كان حسناً)[٣].

فجاءت هذه الآية بياناً لما قبلها فهي (متَّصِلة بما قبلها فالتقدير : أوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها، فإنَّكم إنْ فعلتم ذلك كنتم كالمرأةِ التي غزلت غزلاً وأحكمته فلما استحكم نقضته فجعلته أنكاثاً )[٤].

فهو نهيٌ عن العودةِ إلى الفسادِ ( ووجهُ الفساد أنَّها تقتضي اطمئنان المتحالفين فإذا نقضها أحد الجانبين فقد تسبَّبَ في الخصام والحقد، وهذا تحذيرٌ وتخويف من سوء عاقبة نقض اليمين)[٥]. فلمَّا كان المثل معروفا في الجاهليَّةِ لديهم وكانوا يضربونه للمختلِّ عقليَّاً، ضربه الله مثلاً لهم، ولهذا المثل علَّتانِ أو سببانِ :-

**الأولى** : لمَّا كانوا قد نقضوا عهودهم التي في البيع والجهاد والإيمان وغيرها من العهود من بعد ما عاهدوا الله _تعالى_ كانوا كهذه المرأة التي تهدم ما تبنيه وتغزله، وتبذل عليه ما تملك من مالٍ .

**والثانية:** أنَّ الله _تعالى_ أراد أنْ يقول لهم أنتم بنقضكم العهد كهذه المرأة المجنونة الحمقاء .

**٦_ أثرُ المناسبةِ في تشبيهِ الشررِ الذي تلقي بهِ نارُ جهنَّم بالقصرِ وتشبيههِ بالجِمَالةِ الصفرِ.**

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[ المرسلات: ٣٢ – ٣٣] .

**المشبَّه: الشرر تلقي به نار جهنَّم .**

(١) ينظر التحرير والتنوير :٢٦٤/١٤

(٢) الكشاف: ٤٦٩/٣

(٣) تفسير الرازي:١١٠/٢٠

(٤) تفسير الرازي:١١١/٢٠، وينظر البحر المحيط: ٥١٤/٥

(٥) التحرير والتنوير:٢٦٥/١٤

**المشبَّه به: القصور الضخمة.**

**أداة التشبيه ( الكاف ).**

**وجه الشبه: العظمة والارتفاع، وشبَّهَهُ بالجمالة الصفر، بأداة التشبيه ( الكاف)، لعلاقة المشابهة بينهما في اللون، لبيان هيأة المشبَّه .**

يتَّضح أثرُ المناسبةِ في هذا التشبيهِ في[١] :-

١- أنَّ لون الشرارة أصفرٌ يشوبها شيءٌ من السواد، وهذا المعنى حاصلٌ في الجمالات الصفر

٢- وكما أنَّ الشرارة متحرّكة فَصَحَّ تشبيهها بالجمالات المتحرّكة أيضاً .

٣- وبما أنَّ الشرارات متتابعةٌ صحَّ تشبيهها بالجمالات التي تحمل الصفة نفسها.

٤- أنَّ القصر مأمن الرجل وموضع سلامته وأمنه وتشبيه الشرر بالقصر، تنبيه على أنَّه إنَّما تولَّدت آفته من الموضع الذي تُوقِّعُ الأمن فيه،كذلك الكافر ظنَّ أنّ دينه ينجيه من عذاب الله،جاهلاً أنَّ آفته تأتي من دينهِ .

٥- وبما أنَّ العرب تطلق على الجمال السود،جمالاتٌ صفرٌ، فهو كالتهكُّمِ بهم إذ أراد الله _تعالى_ بهذا التشبيه أنَّه كنتم تتوقَّعون من دينكم الكرامة ونعمة ونجاة وجمالاً، إلَّا أنَّ ذلك الجمال هو هذه الشرارات التي هي كالجمال .

٦- عندما تنفرد الجمال و يختلطُ بعضها البعض، فإنَّ الذي يقع بين أرجلها يصاب بألمٍ شديد ويهلك،فإنَّ الشرارات بتتابعها تُحدث الضرر ذاته. فشبَّهَ ( الشرر بالقصر وهو الحصن، من جهة العظم ومن جهة الطول وشبَّهَهُ بالجمال لبيان التشبيه. ألا تراهم يُشبِّهون الإبل بالأفدان وهي القصور )[٢]، والعلَّة من ضرب المثل إنَّما هي لتخويفهم وتهويلهم وتعظيم الأمر فشبَّه (الشرر حين ينفصل من النار في عظمته بالقصر وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه عن أعداد غير محصورة بالجمال، لتصوّر الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة وقد روعي الترتيب في التشبيه لترتيب الوجود وأفيد أنَّ القصور والجمال يشبه بعضها بعضاً )[٣] ؛ ولإظهار أمرِ التهويل والتخويف جيء بالمثل ليناسب المقام فإنَّ من سمع { إنَّها ترمي بشررٍ} تسارع ذهنه إلى أنَّ المراد عظم تلك الشرارات ثم إذا سمع بعد ذلك {كأنَّه جمالةٌ صفرٌ }،تسارع ذهنه إلى أنَّ المراد كثرة تلك الجمالات وتتابعها ولونها فهذا التشبيه كالبيان المفصَّل المؤكَّد، فكلَّما كان بيان وجوه العذاب أتم وأبين كان الخوف أشد [٤]،فذكر جمالة للدلالة على (كبره وعلى كثرته وتتابعه

(١) ينظر تفسير الرازي:٢٧٧/٣٠

(٢) البحر المحيط :٣٩٨/٨، وينظر التحرير والتنوير :٤٣٧/٢٩

(٣) تفسير روح المعاني :١٧٦/٢٩، وينظر تفسير الرازي:٢٧٨/٣٠

(٤) ينظر تفسير الرازي:٢٧٨/٣٠

واختلاطه وسرعة حركته)[١]، وجاء النصُّ متكاملاً كالبنيانِ يشدُّ بعضه بعضاً، إذ جاءت الصورة متكاملة متناسقة لا ينقصها شيءٌ، ولو أردنا استبدال كلمة مكان أخرى لفقد النَصُّ قيمته، وهذا دليل واضح على أنَّ القرآن العظيم معجزٌ.

٧- ابن القيّم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٢م .

٨- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م .

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٥٨هـ)، دار الفكر – بيروت- دت.

١٠-البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م .

١١-بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري(ت٦٥٤هـ)، تحقيق حفني محمد شرف،نهضة مصر، دت .

١٢-البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن محمد بن عبدالله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨٤م .

١٣-بغية الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، مصر، ١٩٩٩م .

١٤-البلاغة الإصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٩٢م

١٥-البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

١٦-البلاغة العربية أصولها وامتدادها، محمد العمري، مجلة علامات، ج٥٣، م١٤ رجب ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م .

١٧-البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، دت.

١٨-البلاغة فنونها وأفنانها ( علم البيان والبديع )، فضل حسن عباس،دار الفرقان للنشر، ط١٠، ٢٠٠٥م .

١٩-البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، ط٢، ١٩٩٩م .

٢٠-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث

(١) نظم الدرر :١٧٩/٢١

الإسلامي،القاهرة – مصر، ١٣٨٣هـ .
٢١–التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٤م)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م .
٢٢–تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري ( ت١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، دت.
٢٣–التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٦،٢٠٠٢م.
٢٤– تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٩م .
٢٥– تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، تحقيق مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلي أحمد عبدالباقي وحسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ٢٠٠٠ م .
٢٦– التفسير الكبير المشتهر بالتفسير الكبير، مفاتيح الغيب، محمد فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر المشتهر بالرازي(٦٠٤هـ)، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨١م .
٢٧– التناسب القرآني عند الإمام البقاعي (رسالة ماجستير)، مشهور موسى مشهور مشاهرة، بإشراف د. محمد بركات أبو علي، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م .
٢٨– التناسب القرآني عند الإمام البقاعي (رسالة ماجستير)، مشهور موسى مشهور مشاهرة، بإشراف د. محمد بركات أبو علي، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م .
٢٩– تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، الحافظ جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.
٣٠– الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت٧٦١هـ)، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م .
٣١– جواهر البلاغة في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن ابراهيم بن مصطفى المصري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٨م .
٣٢– جواهر البيان في تناسب سور القرآن،محمد صديق الغماري، مطبعة عاطف وسيد طه وشركائه،القاهرة، مصر، ١٣٨٥هـ.
٣٣– دراسات دلالية بين المقام والمقال، نافع علوان بهلول الجبوري و محمد ياس خضر الدوري وعبدالوهاب حسين خلف الجبوري، دار الفراهيدي، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م .
٣٤– دلائل النظام، عبدالحميد الفراهي الهندي، المطبعة الحميدية، ط١، ١٨٣٣ هـ .
٣٥– ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٥،

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت .
٣٧- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، دت.
٣٨- صحيح البخاري ( الجامع المسند الصحيحة المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه )، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري(ت٢٥٦هـ)، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٣٩- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دت.
٤٠- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق – سورية، دت .
٤١- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، دط، ١٩٩٤م .
٤٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق،القاهرة – مصر، ط٣٢، ٢٠٠٣م .
٤٣- القاموس المحيط،مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي(ت٨١٧هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٧٨م .
٤٤- القرائن في علم المعاني ( اطروحة دكتوراه )، ضياء الدين القالش، بإشراف د. أحمد محمد ننَّوف، جامعة دمشق، ٢٠١٠ – ٢٠١١م .
٤٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوَّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
٤٦- لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دت .
٤٧- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٩٠م .
٤٨- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠م
٤٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٥٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، دط، ١٩٨٦ م .

٥١- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، قرأه وتممه عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥٢- مصابيح الدرر في تفسير القرآن الكريم، عادل بن محمد أبو العلاء، ١٤٢٢هـ.

٥٣- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م .

٥٤- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دت.

٥٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة – مصر، ط٤، ٢٠٠٤م .

٥٦- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م .

٥٧- مناهل العرفان في إعجاز القرآن، محمد عبد العظيم الرزقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

٥٨- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٢،٢٠٠٢م .

٥٩- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز، دار الفقه للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٧هـ

٦٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، دت .